والغرائب. فالذي تحت قدميّ ليس ثلجاً لا أكثر. بل إن تحت الثلج تراباً، وفي التراب جذوراً، وعلى وجه التراب قد تمدّدَتْ فروع كثيرة وأغصان كثيرة. وهذه الجذور والفروع والغصون لا تعرف الراحة ولا تأخذها سِنَة. فهي تعمل حتى في هذه الساعة. وتعمل في سكينة الواثق من جمال عمله. فلا صخب، ولا قعقعة، ولا تبجّح، ولا ادّعاء، ولا خيلاء.

ألا ليت لي أذناً تسمع دبيب عصير الحياة في عروق الدوالي المتدثّرات بالثلج تحت قدميّ! ألا ليت لي عيناً تبصر حُبيبات العنب تتكوّن الآن في أحشائهنّ لتنتظم فيما بعد عناقيد مدلّاة من أذرعهنّ ومن أصابعهنّ!

أفٍّ لنا ما أكثر ما نتوهّم أنّنا نبصر ونسمع وما أقلّ ما نسمع في الواقع ونبصر!

ها أنذا أمرّ في وسط بستان من الأشجار المثمرة. فلا أبصر من تلك الأشجار غير أفنان عارية لفّها الصقيع بسكينة خرساء فكأنّها الشموع في هيكل مهجور. أمّا الجذوع والجذور فقد حجبها الثلج والتراب عن سمعي وعن بصري. فلا رسم ولا صوت. ولكنّها أبعد ما تكون عن سكتة الموت. فهي تزخر بالحياة والحركة. ولو كانت لي